

رهانات الفضاء العمومي الافتراضي شبكات التواصل الاجتماعي أنموذجا

The bets of virtual public space
Social media as a model

د. بن عيسى قواسم

Dr. Benaissa Gouacem

جامعة الطاهر مولاي سعيدة - الجزائر

gouacemb84@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2020/..../..

تاريخ الاستلام: 2020/..../..

تاريخ النشر: 2020/..../..

ملخص:

تعالج هذه الورقة البحثية موضوع الفضاء العمومي الافتراضي الذي يعتبر امتدادا للمفهوم الكلاسيكي للفضاء العمومي، حيث بإمكان البشرية اليوم أن تلتقي عبر الفضاءات التي توفرها

شبكات التواصل الاجتماعي مثل فايسبوك، تويتر، أنستغرام... إلخ من أجل النقاش والحوار وتبادل وجهات النظر حول القضايا الكونية والعالمية، بغض النظر عن الاختلاف اللغوي أو الديني أو العرقي أو الجغرافي... إلخ، مما يجعل الإنسان المعاصر على وعي واطلاع بما يحدث في العالم بأسره، وليس فقط بما يحدث ضمن حدود بلده، مع إمكانية تفعيل مشاركته في تقديم الإقتراحات والأفكار والحلول للمشاكل ذات الطابع العالمي أو الإقليمي، وتسخير عقله في خدمة القضايا الإنسانية العادلة في العالم، لتصبح بذلك شبكات التواصل الاجتماعي منافسا استراتيجيا و بديلا حيويا للمؤسسات العالمية الرسمية التي تحتكر المناقشات العامة حول القضايا الكونية مثل هيئة الأمم المتحدة وغيرها.

كلمات مفتاحية: الفضاء العمومي الافتراضي - شبكات التواصل الاجتماعي - المجتمعات الافتراضية - الاتصال العمومي

Abstract:

This research paper addresses the topic of virtual public space which is an extension of the classic concept of public space, where humankind today can converge through the

spaces provided by social media, such as Facebook, Twitter, Instagram... etc, for discussion, dialogue and exchange of views about global issues, regardless of the linguistic, religious, ethnic or geographical differences, this makes contemporary people aware of what is happening in the whole world, and not only what is happening within the borders of his country, with the possibility of his participation in providing suggestions, ideas and solutions to problems of a global or regional nature, and harnessing his mind to serve just human causes in the world, thus, social media become a vital competitor and alternative to the official global institutions that monopolize public discussions on global issues such as United Nations organization and others.

Key words:

Virtual public space, Social, media, Virtual societies, Public communication

1. مقدمة:

يعتبر الفضاء العمومي الميدان الأرحب والمجال المنفتح والأوسع الذي يتيح الفرصة لجميع أفراد المجتمع للوصول إليه

والإنخراط فيه، من أجل تبادل وجهات النظر بشكل ديمقراطي وعقلاني، وإبراز مختلف الآراء والمواقف حول القضايا التي تهم الشأن العام، والمواضيع التي تجسد الاهتمامات المشتركة للأفراد، وله جانبان: جانب مادي فيزيقي، وآخر لا مادي أو معنوي، فأما الجانب المادي للفضاء العمومي فهو الحيز المكاني أو الجغرافي الذي يحتضن نشاطات الفاعلين في هذا الفضاء مثل المقاهي والمباني العامة الكبرى والساحات العمومية... وغيرها من الأماكن والمجالات التي تشكل نقطة التقاء وتجمع للمواطنين والنخب من أجل مناقشة الأفكار والأحداث والمواضيع ذات الطابع العمومي.

أما الجانب اللا مادي أو الرمزي للفضاء العمومي فتمثله وسائل الإعلام بمختلف أنواعها وأقنيته، حيث استطاعت هذه الوسائل أن تنقل النقاشات والسجلات العمومية من قلب الساحات العامة والمباني الحكومية إلى صفحات الجرائد وأثير البرامج الإذاعية وبلاطوهات القنوات الفضائية، لتدسع بذلك دائرة الجماهير المهتمة بالقضايا ذات الشأن العمومي، وتصبح بفعل وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية ذات طابع جماهيري واسع، يحق لأي مواطن أن يدلي برأيه فيها، وأن يسمع صوته ويشارك عقله مع عموم المواطنين على قدم المساواة دون إقصاء أو تهميش، مما يضع حدا لاحتكار الدولة للهجال العمومي.

ونتيجة لل تطور التكنولوجي المتسارع الذي يعرفه قطاع
الإعلام والاتصال، والتأثيرات اللامتناهية للتكنولوجيات
الجديدة للإعلام والاتصال على جميع النشاطات الإنسانية بدون
استثناء، فقد أدى ذلك إلى إعادة النظر في جملة من المفاهيم
والمصطلحات الكلاسيكية التي تغير مدلولها من معناه التقليدي
إلى معان جديدة تأخذ بعين الاعتبار المستجدات الحاصلة في
مجال الإعلام والاتصال، ومن جملة هذه المفاهيم التي تطور
مدلولها مفهوم الفضاء العمومي، فقد أدت تكنولوجيات الإعلام
والإتصال عموماً، وشبكات التواصل الاجتماعي خصوصاً إلى
إعادة تجديد هذا المصطلح ليكون أكثر قدرة على مواكبة
التغيرات الحاصلة في ميدان تكنولوجيات الإعلام والاتصال،
حيث ظهر مصطلح "الفضاء العمومي الافتراضي"، الذي يتجاوز
المفهوم المادي الجغرافي القديم لمصطلح الفضاء العمومي، ليصل
مداه إلى الكونية، حيث يمكن ضمن هذا الفضاء المعول مناقشة
القضايا الإقليمية والعالمية العابرة للأوطان والقارات، والتي تجسد
ما يسمى "المواطنة العالمية"، مثل قضايا الاحتباس الحراري
والأمراض المعدية العابرة للحدود مثل الأيدز والسارس وأنفلونزا
الطيور وكورونا...إلخ، وإشكالية الأسلحة النووية التي تهدد
السلام العالمي، والظاهرة الإرهابية التي تتجاوز الحدود الجغرافية
للدول...إلخ.

وعليه، تعتبر هذه الورقة البحثية محاولة نظرية للتعرف على ماهية الفضاء العمومي الإقتراضي ممثلاً في شبكات التواصل الاجتماعي، والتغيرات التي أحدثتها في مجال العمومية.

2- تحديد المصطلحات والمفاهيم:

2-1- تعريف الفضاء العمومي:

تعرف موسوعة النظرية الاجتماعية الفضاء العمومي أنه ذلك الفضاء المرتبط بالحوار الفكري حول السياسة والدولة، ويشكل الفضاء العام ساحة للمشاركة السياسية وتشكيل الأفكار والآراء وأشكال الخطب الأخرى، فالفضاء العام يتجسد كساحة يأتي إليها الأفراد من أجل الدخول في حوار وجدل حول الأفكار المرتبطة بالدولة أو السياسة، المجتمع، الثقافة، ليس هذا فحسب، بل يتضمن الفضاء العمومي أيضاً الفعل السياسي من خلال الأفراد أو الجماعات. (قدوار، 2017، ص 58).

صاغ الفيلسوف الألماني "يورغن هابرماس" نظرية المجال العام عام 1962 التي يشرح من خلالها ويصف نشأة وتكون الرأي العام وحالة الرأي، والمجال العام يتوسط في الواقع مجال السلطة العامة والحكومة، والمجال الخاص الذي يركز على الأسرة وشؤون الأفراد الخاصة، وهذا المجال العام كما نشأ في المجتمعات البورجوازية، كانت تمارس فيه المناقشات حول السياسات الحكومية، وفي رحابه تبلور اتجاهات الرأي العام،

وقد عرف "هايرماس" المناخ أو المجال العام بأنه مجتمع افتراضي أو خيالي ليس من الضروري أن يتواجد في مكان معروف أو مميز (في أي فضاء)، فهو مكون من مجموعة من الأفراد لهم سمات مشتركة مجتمعين مع بعضهم كجمهور، ويقومون بوضع وتحديد احتياجات المجتمع مع الدولة، فهو يبرز الآراء والإتجاهات من خلال السلوكيات والحوار، والتي تسعى للتأكيد على الشؤون العامة للدولة، وهو شكل مثالي. (جمال، سهيلة، 2018، ص 3).

يرى "يورغن هابرماس" أن الفضاء العام هو المجال الواسطي بين الحياة الخاصة لكل فرد والدولة المالكة، والذي تشكل في إنجلترا، ألمانيا وفرنسا في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر في القاعات، هذا الفضاء يمنح إمكانية للأفكار الخاصة أن تصبح عامة، وتشمل الفضاءات العامة: المقاهي، النوادي الأدبية، الصحف وغيرها، أين كان الأفراد يتبادلون فيها الرأي ويتناقشون حول مسائل تتعلق بالفن والأدب في مرحلة أولى، ثم في مسائل سياسية بعد الثورة الفرنسية. واتسم النقاش والحجاج في هذه الفضاءات بالتكافؤ والعقلانية. وعلى هذا النحو فإن النقاش العقلاني والحجاج النقدي يمثلان الوسطة التي يتشكل من خلالها الرأي العام باعتباره المعيار الذي يتفق حوله المتحاورون للحسم في مسائل تتعلق بالحياة العامة. إن الفضاء

العمومي في هذه الفترة هو فضاء عمومي سياسي وبرجوازي في آن واحد، إذ أنه استطاع بفعالية أن يغير من وجه أوروبا تغييرا جذريا نظرا لما حققه من مكاسب على المستويات السياسية والإتصالية والاجتماعية وكذا الإقتصادية. (دوار، 2017، ص 59).

يهدف المجال العمومي إلى بناء المواطن الفاعل عبر مشاركة الناس في صياغة الصالح العام، إلا أن على المجال العمومي أن يكون منظما لا فوضويا، ويكون ذلك من خلال مأسسة السجال في المجال العمومي، وتقوم وسائل الإعلام بدور أساسي في هذا الصدد، وفي هذا السياق يشير "دالغرين" أنه يجب بناء "مواقع مأسسة" يستطيع المواطنون أن يشكلوا ذواتهم كمواطنين فاعلين في العملية السياسية، والهدف من ذلك هو إنشاء بني إعلامية للتعبير عن المصلحة العامة، يؤدي إلى تحسين التنوع من حيث المعلومات ووجهات النظر وأشكال التعبير التي تعزز المواطنة الكاملة والفعالة. دفع التداول الجيد على حد تعبير "جيني مازسبريدج" في المجال العمومي إلى توسيع مساحات الاتفاق وتوضيح ما تبقى من مساحات الصراع أو الاختلاف، وتضييف أن صوت الأقليات أو من هم خارج الإجماع السياسي، يسهم في تعزيز المجال العمومي ودوره الوظيفي في توسيع الاتفاق وتوضيح الصراع. (مهند، 2016، ص4).

2-2- وسائل الإعلام والفضاء العمومي:

بالنسبة للعديد من الباحثين من بينهم "يورغن هابرماس" كان لوسائل الإعلام مساهمة في التأسيس للفضاء العمومي باعتبارها تمنح إمكانية حدوث المناقشات الحرة والمتصلة بالشأن العام. فوسائل الإعلام حسب ذات الباحث تعتبر كفا على اجتماعي في النقاش العام وتمنحه شكلا، وتعطي معنى سياسيا للأحداث التي لولا الخطاب الإعلامي ما كان لها وجود في نظر الجمهور، فالوظيفة الأولى لوسائل الإعلام هي تقديم الأخبار والمعلومات ضمن سلم من القراءات السياسية لها، مما يسمح للجمهور بتشكيل انطباعاته وآرائه على ضوءها، بهذا تتجلى وسائل الإعلام كأداة رمزية للوساطة بين الفاعلين السياسيين وجمهور وسائل الإعلام والمواطنين. (قدوار، 2017، ص 59).

2-3- الفضاء العمومي الافتراضي:

ظهر ما يسمى الفضاء العمومي الافتراضي الذي تجلت من خلا له شخصيات وأحداث وقضايا من الحياة اليومية والإجتماعية والسياسية والثقافية التي كانت محجوبة عن الفضاء العمومي التقليدي، حيث أصبح لدى الأفراد القدرة على التعبير عن آرائهم في القضايا ذات العلاقة بالشأن العام، وأصبح لدى مؤسسات المجتمع المدني القدرة على تجميع مصالح الأفراد، وهو ما يعتبره كثير من الباحثين ضروريا لتدعيم الممارسة الديمقراطية،

وتأتي أهمية الإعلام الجديد سواء فب خصائصه الفنية كوسيلة، أو في عدد م استخداميه خاصة بالنسبة لبعض الدول ذات الأنظمة السياسية السلطوية أو الديكتاتورية التي تشهد فشل أو قصور عمل و سائل الإء لام العمومية والخاصة، واختلال وظائف المؤسسات السياسية، والتي من المفروض أن تنظم نقاشا عاما يجعل الأفراد يتجهون إلى استخدام هذا النوع من الإء لام كمساحات بديلة للسياسة في الفضاءات العمومية الإقتراضية التي أصبحت تناقش فيها قضاياها مة. (دوار، 2017، ص 56).

ويعرف "ريدريك مايور" الفضاء العمومي الإقتراضي أو السيرياني بأنه بيئة إنسانية وتكنولوجية جديدة للتعبير والمعلومات والتبادل، وهو يتكون أساسا من دائرة وسطية تكونت تاريخيا بين المجتمع المدني والدولة، وهو متاح لجميع المواطنين للتعبير عن الرأي العام، ويشير "برنار مياج" إلى أن تنظيم الفضاء العمومي يتم من خلال أربعة نماذج للتواصل تعاقب تكونها تدريجيا بواسطة صحافة الرأي وبعدها الصحافة التجارية الجماهيرية وأخيرا التلفزة الجماهيرية، كما أشار هابرماس إلى أن نجاح المجال العام يعتمد على :

- مدى الوصول والإنتشار.

- درجة الحكم الذاتي (يجب أن يكون المواطنون أحرار ويتخلصوا من الهيمنة والسيطرة). (صغير، 2018، ص 118).

إن الفضاء العمومي الافتراضي يتيح الدخول في فضاءات حوارية تمكن الأفراد من التبادل الحر، النقاش والتحاور بشكل ديمقراطي ومتساو، يضمن التداول والتعبير والحوار مع وجود أكبر عدد من القضايا المطروحة للنقاش، وعدد كبير جدا من الفاعلين المتدخلين علنية وبوجود مستمر على نطاق واسع للمعلومات، ويسمح للتعبير المتناقض للآراء والمعلومات والمصالح والإيديولوجيات بين الملايين من الأفراد غير المعروفين، مع توفير هامش كبير من الحرية في التعبير، وضمان الحماية الذاتية والجماعية بعدم الكشف عن الهويات بالنسبة لمن يريد ذلك، إن هذا التعدد والتنوع في الرأي والفكر والإختيارات والمواقف يؤسس لثقافة الحوار.

إن الإعلام الجديد أعاد تشكيل الفضاء العمومي، كما تؤكد العديد من الكتابات بأن الإعلام الجديد يعمل على تشكيل فضاءات عمومية مستقلة بذاتها لأنها تعتقد أنها تشكل امتدادا للفضاء العمومي، أما "جون مارك فيري" فيرى أن الفضاء العمومي في الواقع يتكون من مسائل خاصة، وبفضل تطبيقات الإعلام الجديد تظهر ملامح اتصال مسيس يقع ترويجه على أوسع نطاق بطريقة مباشرة دون المرور عبر التمثيلية. ويؤكد على

إمكانيته لبناء فضاء عمومي في أقصى تجليات الديمقراطية وهي التداول والنقاش العام المبني على الشبكات الاجتماعية لا يمكن إقصاؤها من الفضاء العمومي لأنها تضم في ديناميتها الذين هم مشهم الفضاء السياسي. (قدوار، 2017، ص 64).

إن الفضاء العمومي الإقراضي لدى البعض هو مثال حي شبيه بالفضاء العمومي البورجوازي، حيث ذهب العديد من الباحثين أمثال "المصادق الحامي" من خلال دراسته حول استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية بتونس إلى اعتبار الفيسبوك "فضاء عموميا افتراضيا"، إذ يقول "إن الفيسبوك يمثل فضاء عموميا لأنه يتيح للأفراد الظهور العام والتعبير عن آرائهم وسرد عواطفهم باستخدام الصور والكتابة"، كما خلص بدوره الباحث المغربي "يحيى اليحيائي" في دراسته الموسومة بـ "الشبكات الاجتماعية والمجال العام بالمغرب"، إلى أن "الشبكات الاجتماعية قد أسهمت حقا في تأسيس مفاصل الفضاء العام بالمغرب"، خاصة وأن وسائل الإعلام والاتصال هذه أصبحت اليوم تخصص مكانا أكبر للمناقشة العامة عبر فضاءات افتراضية مفتوحة، والسبب في ذلك في نظر البعض يكشف عن نفسه، وهو توفر المزيد من فرص التعبير أكثر من ذي قبل، وهذا الأمر يتوافق إلى حد كبير والنقاش البورجوازي في الفضاء

العمومي، خاصة مع مفاهيم المعارضة في الفضاءات العمومية التي تكمن فيها مواقع الطعن الخطابي والنقض الواضح للحجج، الذي له دلالة على الصراع المتواصل والصدام العاطفي، بالإضافة إلى الأجواء العامة المتنوعة الأقل محدودية عبر خطوط التنوع الثقافي، بحكم أن المجتمعات متعددة الثقافات. (بوبكر، 2009، ص 2).

3- رهانات الفضاء العمومي الافتراضي:

ارتبط ظهور الميديا الجديدة بعودة الحديث عن الفضاء العمومي وسط النخب الأكاديمية التي ترى في الميديا الجديدة "المبشر"، لتأسيس الساحة العامة Agora، لقدرتها على خلق فضاء متنوع الأبعاد يحتضن أنماطا متعددة من التفاعل (ماين ذاتية وجمعية)، وأنماط من الكتابة الجديدة (التدوين...)، وأشكال من الإتصال ذات نماذج تقليدية رغم وجودها في الفضاء الافتراضي كإعلان والتسويق، وفي هذا المضمار ينشط عدة فاعلين من مؤسسات إقتصادية وأحزاب... إلخ. (هوارى، 2015، ص 227).

ويربط الكثير من المدافعين عن الديمقراطية الرقمية علاقة الميديا الجديدة بإحياء النموذج الأصلي للفضاء العمومي، فالفضاء العمومي بفضل الميديا الجديدة، وبشكل خاص مواقع التواصل الاجتماعي، توسع بشكل لم تعرف البشرية مثيلا له منذ

اكتشاف الطباعة، لا سيما أنه استوعب الفئات التي كانت عرضة للإقصاء والتهميش في الفضاء العمومي التقليدي الذي هيمنت عليه الأنساق السياسية والثقافية والإقتصادية. ويعول الكثيرون من المحتفين بالميديا الجديدة على الفضاء العمومي الإقتراضي كأداة ديمقراطية لمنظم السياسة والإجتماعية والثقافية، بل يرونها المحطة النهائية لأشكال الديمقراطية برمتها من خلال العودة للنموذج الأصلي للفضاء العمومي، وإعادة إحياء Agora رقمية. (هوارى، 2015، ص 221).

كما يعقد الكثيرون من المفكرين والباحثين الأمل على جيل الانترنت في تجديد الأنظمة السياسية الديمقراطية التي تعاني اختلالات، ومن بينهم "فيدال" الذي يرى أنه من خلال تبسيط تدفق المعلومات وتسهيل التفاعل بين الأفراد، نتيح الشبكات الإلكترونية للمواطنين المشاركة بنشاط أكبر في الحياة العامة، وبالتالي تعزز الديمقراطية، كما يمكن لشبكات التواصل الاجتماعي أن تساهم في إخراج المجتمع المدني من مأزق العلاقة المتوترة بينه وبين المجتمع السياسي، فجيل الانترنت حمل معه بداية ديمقراطية الحياة السياسية وظهور مجالات عديدة للتعبير الحر والتفكير الناقد والإلتزام بالقضايا الوطنية، فضلاً عن تبادل المعلومات والأخبار وجلب التضامن والتعاطف مع القضايا العادلة. (هوارى، 2015، ص 226).

وقد جاء في دراسة أعدتها منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OCDE) أن "الفضاءات الافتراضية والمدونات الإلكترونية ومواقع التشبيك الاجتماعي يمكن أن تستعمل للتواصل مع الناخبين، ولتبادل وجهات النظر، ولإثارة النقاشات وتقاسم المعلومات حول القضايا السياسية والمجتمعية". لقد ساهمت الشبكات الاجتماعية منذ ظهورها إلى كسر الحواجز التقليدية للفضاء العمومي والتي تشكلها وسائل الإعلام التقليدية، ومع توسع استعمال الإعلام الإلكتروني بدأت نواة الفضاء العمومي الافتراضي تتشكل تدريجياً لتبلغ ذروة التبلور مع توسع استخدام الفيسبوك واليوتيوب بشكل أساسي، مستغلاً حالة الكبت الإعلامي الذي يعيشه المواطن العربي نتيجة الرقابة المفروضة على وسائل الإعلام التقليدية. (هواري، 2015، ص 228).

ومن هنا فقد بدأت المحاولات الأولى لمعرفة الطريقة التي يتشكل بها الفضاء الافتراضي عبر وسائل الاتصال الجديدة، حيث أن المعلومات غير المادية يمكن أن تشكل مساحات تشاركية من خلال خاصية الوصول إليها عن طريق النفاذ إلى شبكة الانترنت، التي أصبح ينظر إليها الآن على أنها وسيلة اتصالية لإرساء حرية التعبير وتجسيد حق استيفاء المعلومات، فهي المعادل الوظيفي للميدان العام الذي يتوسط المدينة، وهو

مكان يسمح للممارسي التعبير بالتواصل مع جمهور واسع من جهة، ومن جهة أخرى فقد أصبح هناك تركيز كبير على مفهوم التواصل الذي أصبح مرتبطاً بالتحويلات المجتمعية (نحو مجتمع المعلومات)، الذي وضع وسائل الإعلام في قلب المجتمعات الحديثة، حيث يرى "نيكلاس لوهمان" أن "كل ما نعرفه عن المجتمع والعالم الذي يحيط بنا نعلمه عن طريق وسائل الإعلام"، إذ يتم الحصول على معظم المعلومات التي نستخدمها والرجوع إليها بواسطة الإتصال. لأنه من خلال وسائل الإتصال الجديدة ينعكس التمايز الوظيفي في المجتمع، أي أن وسائل الإتصال الجديدة لها وظيفة إعادة إنتاج مضامينها باستمرار، حيث تتم معالجة المدخلات إلى مزيد من الأخبار التي يمكن أن تستهلك من قبل جمهور مجهول، لأن تكنولوجيات الانترنت الناشئة تتخلل حياتنا الاجتماعية والتنظيمية. (بوبر، 2009، ص 2).

أدى التطور الهائل لتكنولوجيات الإتصال الحديثة وعلى وجه التحديد الانترنت إلى توسيع رقعة ووظيفة الفضاء العمومي، وتجددت أدواره ومن يسيطر عليه والكيفية التي يستغل بها لأهداف سياسية، اتصالية، ثقافية. حالياً انتدب الفضاء العمومي أشكالاً جديدة من صحافة مكتوبة، إذاعة، تلفزيون، وأبرزها على الإطلاق الإعلام الجديد الذي يشكل قنوات لتبادل الآراء. إن مختلف التطبيقات التي يتيحها أضحت

من أهم أشكال الفضاء العمومي، وتأسس بذلك فضاء عمومي افتراضي انطلاقاً من مختلف تطبيقات الإعلام الجديد، ومنح الفرد مجالاً للممارسة الرفض والتعبير بعيداً عن آليات المنع والقمع ومختلف أشكال الإقصاء والتضييق، يسمح للمجموعات الأصغر من الناس بإمكانية الالتقاء والتجمع وتبادل المنافع والمعلومات، وهو بيئة تسمح للأفراد بإسماع صوتهم إلى العالم حيث لم تعد المعلومة والرأي والخبر حكراً على طرف ما دون غيره، وظهرت أطراف أخرى بمقدورها أن تمارس سلطة مماثلة تقريباً للفاعلين التقليديين في الفضاء العمومي. (قدوار، 2017، ص 62).

وقد ساهمت الثورة الإتصالية الكبرى والتكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال وعلى رأسها الانترنت في ظهور فضاء عام اجتماعي جديد يخضع لمثالية "هابرماس"، والذي يعتمد على أن يكون الرأي العام حراً في حركة المعلومات وتبادل الأفكار بين المواطنين، فالإنترنت تقدم إمكانيات جديدة مقارنة بوسائل الإعلام التقليدية، فهي تجعل من السهل نشر المعلومات وبشكل كبير بين الأفراد، وتؤكد نظرية المجال العام على أن وسائل الإعلام الإلكترونية تخلق حالة من الجدل بين الجمهور، وتمنح تأثيراً في القضايا العامة، وتؤثر على الجهة الحاكمة، والمجال العام يمكن رؤيته كمجال حياتنا الاجتماعية، والذي من خلاله يمكن

تشكيل الرأي العام، ويؤكد "هابرماس" على إمكانية خلق حوار خارج سيطرة الحكومة والإقتصاد من خلال نظريته، فضلا عن التأثير السياسي للإنترنت بين الأفراد، والتي لها دور في تحقيق الديمقراطية، فهي في المجال العام ينظر إليها كمحيط سياسي. (جمال، سهيلة، 2018، ص4).

وإذا كان المجال العام الواقعي يشكل بوابة للشاركة في تفاعلات متباينة الأنساق والقوة، فإن الإنترنت قد شكلت مجالا عاما جديدا وهو المجال العام الافتراضي "Virtual public sphere"، ولقد أشار "يونغ" إلى أن نمط الإتصال المتوفر من خلال الإنترنت شكل فضاء جديدا يمنح الفرصة أمام تشكيل مجال عام، وعبر عنه على أنه مجال يعتمد على التبادل المجاني للأفكار والآراء بين المواطنين، ويلعب دورا في هدم الأنظمة المغلقة، وفي موضع آخر يعرفه "يونغ" أنه فضاء عام طبيعي ورمزي مكون من اتصال اجتماعي مركب يفتح المجال أمام قم النظم الاجتماعية التقليدية، ويتصف بأنه مجال تفاعلي يعتمد على المشاركة. إن المجال العام عبر الإنترنت هو مجال محكوم بالصور ويتحرك بحقيقة وهي المعرفة، حيث تتحدد المشاركة في إطاره بقوة المعرفة وليس بعلاقات القوة، ويصبح المصدر الرئيسي لشرعية المجال العام الافتراضي هو الإحساس بالجماعة، في حين أن شرعية المجال العام الواقعية كانت تستمد من الهيبة أو

مكانة الشخص وأهميته، فالمجال العام الافتراضي على حسب تعريف "مايس": "فضاء طبيعي يحدث داخله تفاعل عام، يترك فيه الناس مصالحهم الخاصة ويذشغلون بالقضايا ذات الطابع الاجتماعي العام، يسهل النفاذ إليه، ولقد أشارت "رايسي" إلى أن الانترنت ساعدت في تشكيل المجال العام البديل الذي يضم الأفراد الخارجين عن علاقات القوة والمهمشين، والمقصود بهؤلاء الأفراد الذين لم تمكنهم امتيازاتهم من المشاركة في المجال العام الواقعي، ويتناسب ذلك مع ما طرحه "هابرماس" من أن المجال العام هو سعي ما ساوي لرشد شبه مستحيل. (جمال، سهيلة، 2018، ص5).

4- شبكات التواصل الاجتماعي كفضاء عمومي:

لقد ساهمت الثورة الإتصالية والتكنولوجيا الجديدة لوسائل الإعلام الإلكترونية وعلى رأسها شبكات التواصل الاجتماعي في ظهور فضاء عام اجتماعي جديد يخضع لمثالية "هابرماس" إلى حد كبير حيث القضايا العامة ومعارضة النظم السياسية التي ينتمون إليها وهي ما يطلق عليها البعض الفضاء المعلوماتي، وإذا كان الفضاء العمومي كما تحدث عنه هابرماس يعني ذلك المجال الذي يتم فيه التحوار والمناقشة وإمكانية التواصل والتفاعل لمناقشة قضايا مجتمعهم المختلفة فإن فضاءات الانترنت الإتصالية تعد تجسيدا فعليا لما تحدث عنه هابرماس، وبالمخصوص فضاء

المدونين الذي ينتعش بالحوارات والنقاشات العديدة بين أطراف وشرائح من المجتمع بدءاً من المواطن العادي والصحفي، وصولاً إلى السياسي، وهو ما يجعله وفقاً للباحثين يعتبر الفضاء الأمثل الذي يجسد الفضاء العمومي. (صغير، 2018، ص 121).

وشبكات التواصل الاجتماعي هي عبارة عن مواقع على الأنترنت يتواصل من خلالها ملايين البشر الذين تجمعهم اهتمامات أو تخصصات معينة، ويتاح لأعضاء هذه الشبكات مشاركة الملفات والصور والتبادل الفوري لها، وسبب وصف هذه المواقع بالاجتماعية هو أنها تتيح التواصل وتقوي الروابط بين أعضاء هذه الشبكات الاجتماعية. يؤكد "جانيس بليد" أن مواقع التواصل الاجتماعي ليست تتجاوز أفراد معزولين، وإنما هي هيكل اجتماعي حقيقي يستند إلى تماسك أعضائه عبر مستويين: أولاً داخل الجماعة من خلال المشاركة في استخدام اللغة، الرموز، الحالات العاطفية، وبالمقابل مع العالم الخارجي من خلال المنطق المانوي، حيث يتواجه النقيضان "م" و"نحن". (صغير، 2018، ص 121).

إن الشبكات الاجتماعية تقدم لنا مشهداً قوياً عن الانتقال من مجال عمومي سلطوي كان يحكمه المحجب والإجماع الزائف إلى مجال عمومي تحكمه الحرية والتعدد وعاجز في الوقت ذاته عن

الإشتغال وفق المعايير الديمقراطية الأصلية، فقد أصبحت تقسم المجتمع العربي إلى ملل سياسية في إطار فضاء عمومي غابت فيه المحجج لصالح الأحكام والأذواق، وانحسر فيه المحجج العقلاني لصالح التجنيد الإيديولوجي والتعبئة الفكرية والتسويق السياسي، حيث يرى العديد من الباحثين أن التكنولوجيا يمكن أن تساهم في تشظي المجال العمومي وفي تحوله إلى مجموعة فضاءات منغلقة على نفسها، إضافة إلى مخاطر سلعة الشبكة واحتواء إمكاناتها في إرساء أنظمة بديلة، فالنفاذ لا يعزز بالضرورة المشاركة السياسية أو الخطاب التنويري، لأن الانتقال من النقاش الواقعي إلى الافتراضي يستثني من لا يمتلكون القدرة على النفاذ إلى الانترنت، كما أن المعلومات المتداولة على الانترنت ليست دائما ذات طابع ديمقراطي، إضافة إلى أن الوفرة أو التخمّة المعلوماتية يمكن أن تعطي شعورا بالحركة والذشاط بدلا عن المشاركة الحقيقية، فالانترنت تخلق شعورا خاطئا بالقوة. (جمال، سهيلة، 2018، ص 8).

فوسائل الإعلام الجديدة اليوم أصبحت تمثل "العالم الحي"، وتعمل ما في وسعها لتحل محل الفضاء العمومي البورجوازي مع الأخذ في الإعتبار نوع المحتوى وتعقيده في الفضاء الإلكتروني، لأن المجال التواصلي عبر الانترنت يتميز بكونه مفتوحا، وله ميزة تعددية المحتوى، إلى جانب أنه يحمل بعضا من

خصائص الفضاء العمومي على حد تعبير "هابرماس"، فهو من حيث المبدأ متاح للجميع، حيث مكنت شبكة الأنترنت الأفراد من الإتصال محليا ووطنيا وعالميا بطرق يمكن أن تخلق أشكالاً جديدة من المساءلة الديمقراطية، وهو ما أثار توقعات كبيرة حول إمكانية إعادة تنشيط الفضاء العمومي الحقيقي بالمفهوم "الهابرماسي" اعتماداً على القدرات الكبيرة للأنترنت والمتمثلة في خاصية التوسع والإنتشار على نطاق عالمي لشبكة فضفاضة تشكل ما يعرف باسم "الفضاء السيبراني"، الذي يظهر كمكان أكثر مساواة وأكثر عدالة من العديد من الأماكن غير الإلكترونية. (بوبكر، 2009، ص 3).

في الفضاءات الرقمية الجديدة يلتقي الفضاء الخاص والفضاء العام، مما يدعم الاعتقاد الراسخ بأن وسائل الإتصال الجديدة لها القدرة على إزالة الحدود الفاصلة بين الفضاء الخاص والفضاء العام، في ظل إمكانية الوصول المباشر التي تتيحها شبكة الأنترنت للأفراد إلى منتدى عالمي، أين يمكنهم التعبير عن حججهم وآرائهم دون رقابة، وهو الأمر الذي يدحض مفهوم الإقصاء والتمهيش المتعمد لفئات مجتمعية عن غيرها كالمعاقين والنساء وذوي البشرة السوداء...إلخ، لأن ظهور وسائل الإعلام الإلكترونية قد غير جذرياً مفهوم الفضاء العمومي للقرن الثامن عشر، رغم أن الفكرة لا تزال حديثة العهد في مجتمع الشبكة

اليوم، وعلى الرغم من أن الفضاء العمومي الكلاسيكي لا يزال "على قيد الحياة"، مما يعني أن هذا الأخير لن يكون هو نفسه مرة أخرى، وإنما يتحول إلى فضاء آخر في شكله الافتراضي الجديد، والذي من المحتمل أن يحل محله مستقبلا، وهذا ما أكد عليه "هابرماس" حينما قال أن الكلاسيكية لمفهوم الفضاء العمومي تعد تهديدا جوهريا من قبل هياكل السلطة في ظل توسع منصات وسائل الإعلام الرقمية التي تسمح للأفراد بالشعور بالاستقلال. (بوبكر، 2009، ص3).

5- خصائص الفضاء العمومي الافتراضي:

يتميز الفضاء العمومي الافتراضي ببعض الخصائص عن نظيره التقليدي وفقا للمستويات التالية:

أ- إعادة تشكيل الحدود بين العام والخاص:

مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت تمثل فضاءات لبناء الهوية الفردية ولاستعراض الذات في المجال العمومي يطل من خلالها الناس على العوالم الذاتية للآخرين، وأضحى الأفراد كما الجماعات والمؤسسات مطالبين بإعادة تموقعهم به، وهو ما يستوجب من الفاعلين تكويننا عاليا ومعرفة واسعة للإفادة من ذلك.

ب- أشكال جديدة من الفعل الاجتماعي:

سمحت مواقع التواصل الاجتماعي للنخب السياسية المهمشة بتجاوز آليات تغييبها من المجال العمومي التقليدي الذي تسيطر عليه الدولة، وشكلت فضاءات يحكمها الإنسجام الفكري، وتنتج مضامين سياسية وثقافية.

ج- جماليات جديدة:

تتجلى في الفضاء العمومي الإقتراضي العوالم الذاتية والآراء والأفكار ذات العلاقة بالشأن العام، وتتجلى هذه الجماليات الجديدة في الطرق التعبيرية للمستخدمين من صور ونصوص وفيديوهات...

د- المستخدم المبتكر:

تحول الجمهور في الفضاء العمومي الإقتراضي إلى جمهور منتج للمحتوى فهو ليس مجالا تمثيلا تحدث فيه النخبة باسم الجماهير كما في الفضاء العمومي النخبوي، فالمستخدم في الفضاء العمومي الإقتراضي يبتكر ويمنتج مضامين قد تتعلق بالعوالم الذاتية للمستخدم أو ذات العلاقة بالحياة العامة.

هـ- نخب جديدة:

أفرزت مواقع التواصل الاجتماعي نخباً جديدة تتكون من المدونين ومشرفي الصفحات على الفيسبوك والذين يسيطرون على النقاش ويديرونه. (صغير، 2018، ص 122).

6- الفرص التي توفرها شبكات التواصل الاجتماعي باعتبارها فضاء عموميا افتراضيا:

بالإنتقال من الإعلام التقليدي إلى الإعلام الجديد انتقلنا من الكل إلى الكل، عوض من البعض إلى الكل، الذي منح الفرد سبلا عدة لإنتاج المعلومة وترويجها على المستوى الوطني أو الدولي، فإنه يلاحظ الدور الكبير الذي تلعبه هذه الوسائل وتقنياتها المتطورة، حيث ساهمت في ظهور ما يسمى النضال الإلكتروني سواء على المستوى الوطني أو الدولي، في قضايا التضامن الدولي أو الوطني السياسي أو الاجتماعي أو الحقوقي المباشرة والفعلية، أو التضامن المعنوي، فقد تجاوزت هذه الشبكات مفهومها الأول الذي اعتبرها مواقع للتشبيك الاجتماعي تؤسس من قبل الأفراد من أجل التواصل وإقامة علاقات اجتماعية للمعارف، وبناء علاقات افتراضية ذات اهتمامات على المستوى الشخصي أو مشتركة على مستوى الجماعة، وهي القضايا التي تقود الرأي العام وتوجهه، والتي تسمح في نفس الوقت للفرد بنشر مقالات وتسجيلات ونصوص، هذه الوسائل الحديثة خولت للفرد إمكانية تجاوز كل العوائق القانونية والمكانية وتنظيم الأنشطة السياسية، كما اعتبرها البعض الآخر بأنها فضاءات غير مراقبة مفتوحة لتبادل الأفكار والبرامج بتكلفة أقل دون وسيط أو ناشر. (صغير، 2018، ص 132).

فقد ذهب البعض إلى تدعيم الوظيفة التي تقدمها وسائل الإعلام الجديدة في أنها حققت ما عجزت عنه الكثير من المؤسسات السياسية الباحثة عن الديمقراطية والممارسة الحرة للفعل السياسي، فبفضل هذه الفضاءات التواصلية التي خلقتها شبكات التواصل الاجتماعي ساهمت في خلق شبكات متنوعة وعريضة وبالوسيلة التي تناسبها في العصر الحالي والذي فرضته البنية التكنولوجية الجديدة، وبذلك أحييت هذه الشبكات المؤسسات السياسية كالمواطنة السياسية والديمقراطية والمشاركة السياسية وتفعيل دور المشاركين في قضايا الرأي العام وتشكيل الوعي السياسي، والتي لم تكن لتظهر في ظل الاستبداد السياسي على الإعلام بمختلف وسائله بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال التمويل والإشهار والطباعة، لذلك سعت العديد من الدراسات التي اهتمت بمتغيري المجال العام وشبكات التواصل الاجتماعي إلى وضع مجموعة من المعايير للعديد من الباحثين الذين اهتموا أساساً بالدور السياسي الفاعل للإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي التي تساهم في خلق مجال عام إلكتروني مؤثر. (صغير، 2018، ص 122).

لهذا نتضح علاقة شبكات التواصل الاجتماعي بالفضاء العمومي الإقتراضي من خلال:

- مشاركة عدد كبير من المواطنين في نقاش عقلاني عبر وسائل التواصل الاجتماعي، حيث أن الفجوة الرقمية بمستوياتها في الوصول أو مهارات الاستخدام قد تمثل عائقاً في تنامي الدور السياسي الفاعل للأنترنت وتطبيقاتها ووسائطها المختلفة.
- قدرة القائمين على إدارة الحوار والمناقشات التي تدور في المجال الافتراضي على طرح القضايا والشؤون العامة الواقعية للمجتمع، وليس فقط براعة القادة في المجال العام على حصر القضايا وقيادة المناقشات حولها ولكنها قد تمثل الأولويات نفسها في أجندة الجماهير العامة في المجال الافتراضي.
- إتاحة الفرص المتساوية للمشاركات في النقاشات العامة في إطار من الإحترام المتبادل، وأن يكون الرأي الجمعي حول القضية مبني على الإقناع وليس على الأوضاع الاجتماعية أو الاقتصادية أو الوظيفية للمشاركين، وهو يطلق عليه بجودة الخطاب. (صغير، 2018، ص 125).

7- خاتمة:

لا شك أن الفضاء العمومي الافتراضي الذي أفرزته التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال، وعلى رأسها شبكات التواصل الاجتماعي أصحى اليوم البديل الأمثل للفضاء العمومي التقليدي وامتداد له، وإذا كانت المجتمعات التقليدية في ظل الفضاء العمومي الكلاسيكي محاصرة بالحدود السياسية والجغرافية

للدول، ولا تتجاوز قضايا النقاش البعدين المحلي والوطني، فإن المجتمعات المعاصرة هي مجتمعات منفتحة على العالم، والقضايا التي تتم مناقشتها عبر شبكات التواصل الاجتماعي هي قضايا عابرة للأوطان، تتميز بطابعها العالمي والكوني، وتجسد فكرة "المواطن العالمي" الذي يشعر بانتمائه الجغرافي للعالم بأسره، وليس إلى حدود بلده فحسب. إن النقاشات والسجلات المفتوحة عبر الفضاء العمومي الإقتراضي متعددة الهويات واللغات والثقافات، وتفتح فرصاً واسعة أمام الحضارات الإنسانية المعاصرة للحوار والتثاقف والانفتاح على الآخر، وتكريس ثقافة العيش المشترك التي تذوب فيها الخصوصيات، وتختفي فيها الصراعات والإختلافات لتحل محلها إنسانية الإنسان، التي يشترك فيها مع أي إنسان آخر مهما كان انتماءه العرقي أو الثقافي أو اللغوي أو الديني. إن الفضاء العمومي الإقتراضي هو فرصة أمام الإنسانية للتلاقح والحوار وقبول الآخر وتجسيد فعلي لعالم متعدد الأقطاب والأفكار والبيئات والحضارات.

8- المصادر والمراجع:

- بوبكر الصديق بن شويخ (2009)، الفضاء العمومي الإقتراضي، ساحة للتعبير وتعزيز الحريات، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة مستغانم، المجلد 4، العدد 7.

- جمال بن زروق، سهيلة بضياف (16- 18 أكتوبر 2018)،
الإعلام الجديد والفضاء العمومي الافتراضي، بحث لقيم
الديمقراطية أم هدم لها، ملتقى دولي حول "شبكات التواصل
الاجتماعي وتغير البيئة الإعلامية في العالم العربي"، تونس.
- صغير عباس فريدة (أكتوبر 2018)، تجليات الفضاء العمومي
الافتراضي من خلال التفاعل الافتراضي عبر المجموعات
الافتراضية، دراسة تحليلية إثنوغرافية، المجلة الجزائرية للأبحاث
والدراسات، جامعة جيجل، العدد 4.
- قدوار تسعديت (جوان 2017)، تحولات الفضاء العمومي،
الإعلام الجديد كفضاء عمومي بديل، مجلة مجتمع تربوية عمل،
العدد 3.
- مهند مصطفى (كانون الأول 2016)، حول مفهوم وحدود
المجال العمومي، مجلة جدل، دمشق، دار نينوى للدراسات
والنشر والتوزيع، العدد 29.
- هوارى حمزة (سبتمبر 2015)، مواقع التواصل الاجتماعي
وإشكالية الفضاء العمومي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،
جامعة الشلف، العدد 20.